

مخارج الأصوات عند الخليل وتلامذته

Character Outlets at AL-KHALIL and its students

د. محمد العيمش

جامعة عبد الرحمن بن خلدون- ملحقة قصر الشلالة-تيارت(الجزائر)

Medlaimech@outlook.fr

تاريخ النشر: 2018/12/01

تاريخ القبول: 2018/09/17

تاريخ الإيداع: 2018/06/07

ملخص:

ومن المؤكد أن الأصوات متعددة ومتنوعة، منها الأصوات الطبيعية، والأصوات الآلية، والأصوات اللغوية، وهي التي تصدر عن الجهاز النطقي الإنساني، فينتج عنها مقاطع صوتية، والمقاطع تشكل كلمات ذات دلالات ومعاني هادفة، يتم إدراك معانيها التواصلية، وهذا النوع من الأصوات تَنَبَّه لها اللغويون العرب القدماء في زمن مبكر، إذ يرجع ذلك إلى عهد أبي الأسود الدؤلي "ت69هـ"، وآليته في ذلك ذائقته الصوتية حيث استطاع أن يرتب الحروف حسب مخارجها، إنها النواة التأسيسية الأولى في علم الأصوات وهو الذي يهمننا في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الخليل بن أحمد؛ الصوت؛ مخرج الصوت؛ المدرج الصوتي؛ الجهاز الصوتي؛ أبي الأسود الدؤلي

Summary :

The sounds are numerous and varied, including natural sounds, mechanical sounds, and linguistic sounds. This is the result of the human logical system, which produces sound clips. The sections form words with meaningful meanings and meaning. Their communicative meanings are understood and this kind of sound is alerted to them Arab linguists in ancient times, due to the era of Abu al-Aswad al-Dawali "T 69H", and his machine in that his vocal taste, where he managed to arrange the letters according to the exits, it is the nucleus of the founding of the first in the science of sounds, which is of interest in this study.

Key-words : sound; Abu al-Aswad al-Dawali; mechanical sounds; kind of sound

البحث:

قبل الحديث عن مخارج الحروف عند الخليل وتلامذته لابد من الاستئناس بتعريف الصوت لغة واصطلاحاً.

الصوت لغة.

صَاتَ، صَوَّتَ، ومنه: صَاتَ الإنسانَ وَغَيْرُهُ يَصُوتُ وَيُصَاتُ صوتاً "من باب نصر وعلم" نادى وأحدث صوتاً، صَوَّتَ تصويته وأصوات إصاثة بمعنى صات. وإنصات الرجل، ذهب في توارٍ ودُعي فأنصت؛ أي أجاب وأقبل، وأنصت به الزمان صار مشهوراً، وأنصت الرجل استوت قامته بعد الانحناء، الصائت ذو الصوت، الصَّاتَ الذكر الحسن، ورجل صات أي شديد الصوت. والصوت كيفية قائمة بالهواء تحدث بسبب تموج، والذكر الحسن الصيِّت معناه الذكر الذي ينتشر في الناس، والمطرقة، والصانع والصيقل، الصَّيِّتَةُ، الصيِّت، الشديد الصوت المصوات الكثير التصويت وما بالدار مصوَّتٌ أي: أحد والمنصَّات القويم القائمة⁽¹⁾.

وجاء في تهذيب اللغة في باب " الصاد والتاء " في مادة " ص ا ت " قال الليث: يقال صَوَّت يصَوِّت تصويوتا فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّتَ بإنسان فأعاهُ. ويقال: صات يصوت صوتا فهو صائت ، معناه صائح، وقد يسمى كل ضرب من الأغنيات صوتا والجميع الأصوات، ورجل صيت شديد الصوت، وجاء عن ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصَّيْتُ: الذكر يقال: قد ذهب صيته في الناس أي ذكره، ورجل صات شديد الصوت كقولهم: طان كثير الطين وكبشٍ صافٍ كثير الصُّوف.⁽²⁾

وقال الأزهري: جنس لكل ما وقر في أذن السامع يقال: هذا صوت زيد ورجل صيت إذا كان شديد الصوت، وصائح إذا صاح.⁽³⁾

فأما قولهم: " دُعِيَ " فانصات هو من ذلك أيضا كأنه صوت فانفعل من الصوت وذلك إذا أجاب والصيت الذكر الحسن في الناس، يقال ذهب صيته.⁽⁴⁾ يقول أبو بكر الرازي في تعريفه للصوت: والصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا، فهو صائت وصوت تصويت فهو مصَوِّت. والصوت مذكر؛ لأنه مصدر كالضرب والقتل، والصوت معقول؛ لأنه يدرك ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما لا يدرك، وهو عرض ليس بجسم ولا صفة والدليل على أنه ليس بجسم أنه مدرك بحاسة السمع.⁽⁵⁾ وجاء عن ابن برزخ: أصات الرجل بالرجل إذا شهَّره بأمر يشتهيهِ وانصات الزمان به انصاتا إذا اشتهر وكل ضرب من الغناء صوت والجمع أصوات.

أما عبد الله الساني يقول: صات الإنسان وغيره يصوت ويَصَاتُ صوتا، نادي وأحدث صوتا الصوت بالفتح مصدر، والصوت ما ينشأ عن اهتزاز دقائق الأجسام فيُنْقَلُ إلى الأذن بواسطة الهواء والصوت، الضرب من الغناء، والصيْتُ: الشديد الصوت أصله الصَّيُّوت والمصَوِّت الكثير التصويت، والمصوات المحدثُ الصوت.⁽⁶⁾ ومن تعريفات الصوت في اللغة ما قاله ابن جني: فإن الصوت مصدر صات الشيء الذي يصوت صوتا ، فهو صائت وصوتٌ فهو مُصَوِّتٌ، وهو عام غير مختص يقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار.⁽⁷⁾ وأنبه القارئ لكريم هنا أن هذا المصطلح ورد ذكره في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.⁽⁸⁾ وهاهنا أسلوب ذم.

الصوت اللغوي هو الصوت الصادر عن جهاز النطق الإنساني، والأصوات اللغوية ليست عناصر متناثرة ؛ إنما هي نظام منسق تحكمه علاقات خاصة بهذه اللغة أو تلك، وهذا الذي نتحدث عنه-الصوت اللغوي- ذو جانبين أحدهما عضوي، والآخر صوتي. بحيث يتصل الأول بعملية النطق والثاني بصفته، وعملية النطق هذه تحدث في أية نقطة مما بين الشفتين والأوتار الصوتية في الجهاز النطقي الإنساني.⁽⁹⁾ ويكون خروج الصوت مستطيلا مع الهواء حتى يعرض له في الحلق والفم، والشفيتين. مما يثنيه عن ذلك الامتداد ويختلف الصوت باختلاف المقاطع التي تعترضه.⁽¹⁰⁾ ويسمى الموضع الذي يُحبَسُ فيه الهواء أو يضيق فيه مجراه مخرجا وهو مكان النطق.⁽¹¹⁾

الصوت اصطلاحاً:

قول ابن جني، في تعريفه للغة على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، معنى ذلك أن الكلام يتشكل من أصوات، وتلك الأصوات تتركب منها ألفاظاً، ومن الألفاظ تتكون العبارات إذا فالمستوى الصوتي هو أدنى المستويات التي تتشكل منها اللغة.

فالصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء، المسماة تجاوزاً أعضاء النطق والملاحظ إن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محدّدة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محدّدة أيضاً، ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهوداً ما كي يحصل على الأصوات اللغوية.⁽¹²⁾

ويمكن استنتاج من خلال ما تقدم ذكره أن الصوت اللغوي هو نموذج تصدره أعضاء النطق، وينتشر في الهواء على شكل ذبذبات تصل إلى أذن السامع محدثة فيه أثراً معيناً، كما أن الصوت اللغوي له عدة جوانب منها:

- أ – الجانب الفيزيولوجي: وهو الذي يتصل بأعضاء النطق وأوضاعها وحركاتها.
- ب- الجانب الفيزيائي: ويتصل بتلك الآثار التي تنتشر في الهواء في صورة ذبذبات صوتية.
- ج- الجانب السمعي: وله جهتان: جهة فيزيولوجية خاصة بأعضاء النطق، وجهة عقلية أو نطقية خاصة بالعملية النفسية التي تُتبع بإدراك السامع.⁽¹³⁾

والصوت بصورة عامة هو ظاهرة فيزيائية عامة الوجود في الطبيعة بفعل: تموج الهواء دفعة وبسرعة وقوة، بسبب ظاهرتي القرع والقلع.⁽¹⁴⁾ ولقد عرف ابن سينا (ت 428هـ) ظاهرة القرع على أنها تعني تصادم جسمين، أما القلع هو انفصال جسمين عن بعضهما البعض.

وذهب ابن جني إلى تعريف الصوت بقوله: اعلم أن الصوت عرضٌ يخرج مع النَّفَسِ مستطيلاً، متصلاً حتى يعرض له الحلق والفم والشفَتين، مقاطعٌ تُثْنِيهِ عن إمداده واستطالته يسمى المقطع أينما عرض له حرفاً.⁽¹⁵⁾

ومعنى قوله عَرَضُ أي ما ليس له ثبات ، وأشير هنا إلى أن هذا المصطلح ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.⁽¹⁶⁾

والمقصود بالنَّفَسِ الحدث كما يتضح لنا من خلال التعريف أن ابن جني حدد ملامح الصوت اللغوي بعينه في قوله " تثنيه عن امتداده واستطالته"، أما الحرف المذكور في هذا القول؛ إنما يقصد به ابن جني مخرج الصوت وليس الحرف المتعارف عليه حيث فرّق بين الصوت والحرف ففي القديم كان يستعملان

بمعنى واحد أما لمحدثون فقد فصلوا بينهما وقالوا: بأن الصوت هو الجرس* المسموع ، أما الحرف فهو الرمز الكتابي.

ويقول الراغب الأصبهاني في كتابه: المفردات في غريب القرآن الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين وذلك ضربان: أحدهما: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد. والآخر: تنفس بصوت ما وهو ضربان أيضا. أحدهما غير اختياري كما يكون عن الجمادات والحيوان والآخر اختياري كما يكون من الإنسان.⁽¹⁷⁾

فالصوت إذا هو الأثر السمي الناتج عن ذبذبة مستمرة ومطردة لجسم من الأجسام قد يُسمَع من احتكاك جسم بجسم آخر أو اصطدامه به، أو يسمع من آلات موسيقية: وترية، ونفخية أو من جهاز النطق عند الإنسان.⁽¹⁸⁾

نلمح من التعريف الأول للراغب الأصبهاني، أن الصوت ينتج أو يصدر نتيجة اصطدام جسمين ببعضهما ، أما الثاني فيرجع مصدر الصوت إلى مصادر متنوعة قد تنتج عن قرع جسمين أو من احتكاكهما، أو من آلات موسيقية متنوعة، أو من الجهاز النطقي عند الإنسان الذي سأتكلم عنه في الفصل الثاني تحت عنوان فروع علم الأصوات، ولعل هذا التعريف فيما يبدو يعتبر أكثر شمولاً من التعاريف السابقة ، وذلك لذكره كل ما يمكن أن يصدر منه الصوت.

بما أن الصوت ينتمي إلى جنس الظواهر الفيزيائية، فهو يمر عند خروجه عبر واسطة، سواء أكانت هذه الواسطة غازية أو صلبة أو سائلة وصولاً إلى أذن السامع وعندئذ يحدث التواصل.

وهناك من عرّف الصوت أيضا على أنه: الهواء المتُمَوِّج بتصادم جسمين أو عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية تأتي من تحريك الهواء، فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن.⁽¹⁹⁾

إن الذي يبدو هنا أن الصوت أثر سمعي تحدثه أعضاء النطق ، مروراً بالهواء حتى يصل إلى المتلقي فيحدث فيه أثراً معيناً ، ويعرفه تمام حسان بقوله: والصوت أيضا هو الذي يحدث من احتكاك الهواء بنقطة انسداد في إحدى مناطق الجهاز الصوتي وينشأ عن الانسداد حرف.⁽²⁰⁾

إن التواصل في جوهره عملية مركبة ذات مراحل مختلفة يمكن حصرها فيما يلي:

- 1- الإنتاج: يتم إنتاج الأصوات بواسطة جهاز النطق عند الإنسان.
- 2- الانتقال: يتم انتقال الأصوات عبر الأثير على شكل ذبذبات تحدث تموجات في الفضاء.

3-الاستقبال: تستقبل الأذن الأمواج الصوتية، فالمرحلتان الأولى والثانية مرحلتان فيزيولوجيتان يسهم في المرحلة الأولى المخ وجهاز النطق بأعضائه التشريحية المختلفة، وفي المرحلة الثانية المخ

يرجع تنظيمها إلى نصر بن ظهرت بداية التأسيس الحقيقي للصوتيات العربية على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يرجع إليه الفضل الكبير في توطيد أسس هذا العلم الجديد، وأكمل مشوار البناء والتفصيل الدقيق لكل ما يتعلق بعلم الأصوات من حيث المخارج والصفات تلميذه سيويه (ت 180هـ)، ومن جاءوا بعده أمثال: المبرد وابن جني وابن سينا وغيرهم. إن فكرة الحروف التي هي الأصوات، وهي مجردة عن الكلام، تنبّه إليها الخليل بن أحمد، في وقت مبكر قبل غيره، وحدّد مخارجها، ودور الجهاز الصوتي في بلورتها، وأهميتها في كلام العرب كله نظمه ونثره، وقد ساعده على التوصل إلى ربط الحروف (الأصوات) بالجهاز التنفسي حسه المرهف وذكاؤه القوي.

إن الخليل يدرك تمام الإدراك أنّ أشعار العرب وأمثالها ومخاطباتها فلا تشذ عن الحروف التسعة والعشرين المعروف رسمها وترتيبها الهجائي: "أ.ب.ت.ث.ج.ح.د.ذ..."، وجهاز السمع بتركيبه العضوي، أما المرحلة الثانية فهي فيزيائية فحسب تعتمد على الوسط الناقل للصوت المنجز.⁽²¹⁾

تأسيس الصوت اللغوي العربي:

من المؤكد فإن الأصوات متعددة ومتنوعة، منها الأصوات الطبيعية، والأصوات الآلية، والأصوات اللغوية. وهي التي تصدر عن الجهاز النطقي الإنساني، فينتج عنها مقاطع صوتية، والمقاطع تشكل كلمات ذات دلالات ومعاني هادفة، يتم إدراك معانيها التواصلية. وهذا النوع من الأصوات تنبّه لها اللغويون العرب القدماء في زمن مبكر إذ يرجع إلى عهد أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، وإن كان تعرضه للأصوات بشكل تلمحي بسيط إلا أنه نواه التأسيس الفعلي.

دور الخليل بن أحمد وتلامذته في تأسيس الصوتيات العربية:

الذي أساسه مراعاة الأصوات المتماثلة والمتقاربة الأشكال ، والتي عاصم (ت 85هـ)، ويحيى بن يعمر (ت 129هـ) بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 94هـ) ولي البصرة.⁽²²⁾ وقبل الحديث عن الأصوات عند الخليل لابد من التحدث عن الصوت اللغوي عند الإنسان.

المخرج لغة:

اسم مكان خرج، يخرج، خروجاً قال تعالى: ﴿ فَخَرَّاجٌ رَّبِّكَ خَيْرٌ ﴾.⁽²³⁾ وهو نقيض الدخول ، جمع مخارج. وقد استعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي أربعة مصطلحات لتحديد مخارج الحروف، هذه المصطلحات كلّها تدور في فلك واحد، وهي: المخرج الحيز، والمدرج، والمبدأ. ويوضح ذلك بقوله في العربية تسع وعشرون حرفاً منها خمس وعشرون لها أحياء ومخارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والباء والألف اللينة والهمزة،

وسميت جوفاً؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجته من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة.⁽²⁴⁾

فالمخرج عند نقطة ما تنشأ عن اعتراض عضوين من أعضاء النطق للهواء المندفِع من الرئتين نحو الفم ، مما يؤدي إلى ضيق مجراه ، أو سدّه سدا تاما مؤقتا. وأشير هنا إلى أن ابن سينا استعمله بهذا المعنى (المخرج) مع تخصيص دلالة، وكان يطلقه على الطريق الذي يسلكه الهواء المُخْدِتُ للصوت من مبتدأ طريقه من الرئتين مروراً بالحنجرة، والحلق والفم، وانتهاء بالشفيتين أو الأنف، فكل هذا المسلك كان ابن سينا يطلق عليه مصطلح المخرج. وهذا واضح في حديثه عن اختلاف أجراس الأصوات لاختلاف أوضاع أعضاء جهاز النطق المختلفة حين قال: « وقد يكون الحابس أصغر وأعظم، والمحبوس أكثر وأقل، والمخرج أضيق وأوسع، ومستدير الشكل مع دقة.⁽²⁵⁾ »

إن الخليل هاهنا يتحدث عن أحوال مجرى الهواء، وهيئاته المختلفة التي يتخذها من ضيق واتساع واستدارة، واستعراض، وتأثر ذلك مع غيره من العوامل، كاختلاف الأعضاء التي تعترض الهواء وتنوع الأشكال التي يتخذها الاعتراض، والمدة الزمنية التي سيستغرقها، وأشياء أخرى في تنوع أجراس الأصوات المنتجة.

فالمخرج عند علماء القراءات هو مكان تحديد الحرف في الجهاز النطقي عند الإنسان، حيث أن العارفين بتجويد القرآن الكريم، وعلماء قراءته من الأولين لا يخلو كتاب لهم من كلام عن مخارج الحروف، وطريقة نطقها، فقد اعتنوا بالإدغام عناية خاصة وأفاضوا فيه، فأدى ذلك إلى ظهور مراتب ومصطلحات صوتية مهمة في وقت مبكر كالإمالة والتخفيف والتفخيم.

ونأخذ على سبيل المثال: مكي بن أبي طالب حين يصف حالة الإخفاء بدقة قائلا: إنّ النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان، وأطراف الثنايا ومعها غنة تخرج من الخياشيم، فإن أخفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها، وبقي ما كان يخرج من الخياشيم ظاهراً.⁽²⁶⁾

ويقول الباحث العلامة ماريو باي: كلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي الذي يتم عندها تعديل وضعه، وهذا التعديل ما يحدث عن طريق إغلاق المجرى الهوائي في نقطة معينة ثم فتحه فجأة ليندفع الهواء، كما أنه ربما يحدث عن طريق تضيق المجرى محدثاً صوتاً مسموعاً ويحدد اللسان في العامة مخرج الصوت وطبيعته، وربما تقوم الشفتان بهذه المهمة وحدهما أو مع الأسنان.⁽²⁷⁾

وما لوحظ أن العلماء لم يتفقوا في تحديد دقيق لمصطلح المخرج نظراً لدقة المخارج، فأى انزياح فيها أو انحراف مهما كان بسيطاً جداً، يؤدي إلى تغيير الأثر الناتج، وربما كان هذا بسبب مجابتهم الدقة في تعريفها دون مطابقتها، وقد خالف بعضهم بعضاً في عدد المخارج وترتيبها.

ويعلل الدكتور صبحي صالح بقوله: كان هذا سبب أمانتهم وحرصهم على نقل الآراء جميعا، فالنون عند بعضهم ذلقية ؛ لأنها تخرج من ذلق اللسان، و خيشومية تارة أخرى حيث ينطق بها من الخيشوم، ولو أخذت برأي واحد منهم وقنعت بتقسيماته واصطلاحاته لما وجدته يخلط أو يناقض نفسه، كما أن مخارج الحروف وصفاتها تخضع للملاحظة وكلما تجددت هذه الملاحظة ولدت مصطلحات جديدة، وتسميات مستحدثة. وأرى هذا مع الخليل حينما كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف. نحو: اب، ات، اخ، اغ، اء. فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قُربَ منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم.⁽²⁸⁾

إن المتأمل في هذا النص يدرك أن الخليل بن أحمد يُعدُّ أول لغوي عربي أبدع في تنظيم الحروف ترتيبا، وأول لغوي تنبه إلى أن منشأ الحروف (الأصوات) وسبب إحداثها هو الجهاز التنفسي، وأنَّ الأصوات (الحروف) موزعة على الجهاز الصوتي. وكان له الفضل في تحديد الأصوات العربية على كامل الجهاز التنفسي، وتعددت مواقع مصطلح حدوث هذه الأصوات عنده، من المخرج، والحيز، والمبدأ والمدرج. وأصل تكوين الصوت عند الخليل هو النفس الصاعد من الرئتين نحو القصبة الهوائية، ثم نحو الحنجرة، فالأوتار الصوتية بالمفهوم العلمي اللغوي الحديث، ثم إلى الفم، وأخيرا الشفاه.

تحديد مخارج الحروف عند الخليل:

حدّد الخليل الأصوات اللغوية تحديدا دقيقا بحسب مدارجها في الجهاز التنفسي، وتأمل هذا الوصف الدقيق الذي يبين تحديد الحروف (الأصوات) ، كما تصورها هذا العالم العبقرى، والذي أعجب بدقة تحديده للأصوات الباحثين اللغويين المحدثين ، قال تلميذه الليث بن المظفر: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا ومدارج وأربعة أحرف جوف؛ لأنها تخرج من الجوف ن فلا تقع في مدرجة من مدرج اللسان ، ولا من مدرج الحلق ، ولا من مدرج اللهاة ؛ إنما هي هوائية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي: أنها في الهواء.

وقال الخليل : فأقصى الحروف كلها العين ، ثمّ الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها من العين، ثمّ الهاء ، ولولا هتة في الهاء،، وقال مرّة: همة، لأشبهت الحاء لقرب مخرجها من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ، ثمّ الخاء والغين ، في حيز واحد كلهن حلقية ثم القاف والكاف لهويتان ، والكاف أرفع، ثمّ الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثمّ الصاد والسين والزاي ، ثمّ الطاء والدال والتاء في حيز واحد ، ثمّ الطاء والدال والتاء في حيز واحد ، ثمّ الراء واللام والنون في حيز واحد ، ثمّ الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثمّ الألف والواو والياء في حيز واحد ، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه.

هكذا كان تحديد الحروف (الأصوات) كما تصورها الخليل بن أحمد موزعة على كامل مخارج الحروف، في عهد متقدم من الزمن، ووسائله المعينة في دراسته تلك حسه المرهف وتفكيره وذكاءه الخارق، مكنه من التحدي، وتحقيق ما لم يكن ممكناً في عصره، وجاء تلاميذه من بعده وواصلوا التفصيل والتدقيق في بعض الجزئيات التي غابت عن هذا العالم الفذ.

ولم يكتف بتحديد مخارج الأصوات فقط، بل تطرق إلى تحديد الحروف الصحاح (الصوامت)، وهي خمسة وعشرون كما سبق ذكرها في النص السابق، وحروف العلة (الصوائت)، وهي أربعة "ء.ا.و.ي" وسميت هوائية، وهوائية في الهواء، وليس لها حيز تنسب إليه طريقة الصحاح فالهمزة كما ذكر الخليل في نصه السابق لم يكن لها حيز تنسب إليه، غير أنها من أقصى الحلق من عند العين، وهي في الهواء، وتخرج من الجوف. فأما الألف والواو والياء فأصلهن من عند الهمزة، وإن كن يجرين في مجرى واحد مع اختلاف المد ارج، كما تتصف الهمزة أيضاً بكونها وسطاً بين الصحاح والعلل من حيث قربها من مخرج الحلق ولاسيما مخرج العين مما يسوغ إبدالها من العين أو من الغين التي تجاورها.⁽²⁹⁾

وملخص هذه الأصوات التسعة والعشرين الموزعة حروفها على جهاز النطق من أقصى الحلق إلى الشفتين والتي هي مقسمة إلى مجموعات متقاربة أصواتها أشتق اسمها من أسماء المواضع التي ولدت منها الحروف، أجمالها في الآتي.

1-الحلقية: ع، خ، غ، د.

2-اللهوية: ق، ك.

3-الشجرية: ج، ش ض. والياء اللينة

4-الأسلية: ص، ز، س.

5-المنطعية: ط، د، ت.

6-الثلثوية: ظ، ذ، ث.

7-الذلقية: ر، ل، ن.

8-الشفهية: ف، ب، م.

9-الجوفية أو الهوائية: ء، ا، و.ي.⁽³⁰⁾

وبذلك صار للأصوات تسعة مخارج عند الخليل بما فيه الهمزة وحروف العلة الجوفية.

يبدو مما سبق أن محاولة أبي الأسود الدؤلي كانت محاولة واقعية، مما يدل على أن الفكر اللغوي العربي تنبّه منذ فترة مبكرة جداً إلى أهمية الصوت في اللغة الإنسانية، وقد تبوأ هذا الاهتمام مكانة راقية في الفكر اللساني العربي القديم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، الذي انفرد في حقبة تاريخية مبكرة جداً من عمر الحضارة الإنسانية برؤية واعية وعميقة لطبيعة الأصوات اللغوية الأمر الذي جعله يُخرجُ إلى البشرية أولَ مُعْجَمٍ عَرَبِيٍّ يؤسس لترتيب الحروف على مخارج الأصوات، ولذلك وُسِّمَ كتابه "بالعين" نسبة

إلى أول صوت حلقي حسب ترتيب الأصوات عنده. مما جعله يتوصل إلى تقسيم الأصوات الصحيحة ، أو الحروف الصّحاح إلى الأصوات اللينة أو الهوائية ؛ أي أنه يميز الأصوات الصامتة (les consonnes) من الأصوات الصائتة أو المصوتة (les voyelles). مثلما سبقت الإشارة إليه آنفاً، لقد استطاع الخليل نتيجة ذكائه وعلمه وأذنه الموسيقية اللّماحة إدراك العلاقة بين الحركات القصار والحركات الطوال، وأدرك أنها علاقة في الكم (duration)، وليست علاقة في الكيف، فجعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف وللكسرة ياء صغيرة تحت الحرف وللضمة واواً صغيرة فوقه.

إن هذا العالم انطلاقاً من تفكيره الصوتي وتذوقه الأصوات واهتماماته الصوتية مكنته من تقعيد بحور الشعر والأوزان العروضية والاختلافات الصوتية الدقيقة جداً والقوية، كما وضع علامات صوتية عدة منها، الشدة والسكون، وهمزة القطع، وهمزة الوصل، هذا ولم يكتف الخليل بدراسة الصوت معزولاً عن الكلام، بل درس وظيفته في اللغة العربية دراسة علمية دقيقة كدراسته لزيادة الألف في الخماسي و"أل" التعريف والإدغام، والإعلال، والإبدال، مما يسمح بالقول أن الخليل قد درس أصوات العربية دراسة فونيتيكية وفونولوجية ووظيفية أكثر من معالجتها من جانب الصفات.

هوامش البحث:

- 1- ينظر، البستاني بطرس قطر المحيط، قاموس لغوي ميسر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، مادة (ص. و. ت)، ط 2، 1995م.
- 2- ينظر، ابن منظور، لسان العرب نسق وعلق عليه ووضع فهرسه علي مشري، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 01، "1408هـ-1988م"، 435/7.
- 3- ينظر، الأزهرى تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، مادة (ص. و. ت)، د ط، د ت، ج 12.
- 4- ينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة (ص. و. ت)، ط 2، 1970م، ج 3.
- 5- ينظر، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، مادة (ص. و. ت)، د ت، د ط.
- 6- ينظر، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان-بيروت-مادة (ص. و. ت)، 1986م.
- 7- ينظر، ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق د/حسن هنداي، دار القلم دمشق، مادة (ص. و. ت)، ط 2، 1993م، ج 1.
- 8- سورة لقمان، الآية 19.
- 9- ينظر، د / تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1979م، ص 71، 72.
- 10- ينظر، الخفاجي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعالى الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح، د ط، 1969م، ص 16.
- 11- ينظر، المرجع السابق، ص 110.
- 12- ينظر، د/كمال بشر، علم الأصوات، ص 112.
- 13- ينظر، المرجع نفسه، ص 119.

- 14- ينظر، ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، د ط، 1978م، ص 98.
- 15- ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ، ط3 ، 1995م، ص85.
- 16- سورة الأنفال، الآية 67.
- 17- ينظر، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، دار الكتاب العربي، دط، دت، ص 67.
- 18- ينظر، أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ، د ط، 1999م، ص69.
- *الجرس (Noise) أثر سمعي غير ذي ذبذبة ، مستمرة مطردة كالنقر على الخشب أو الطبلية و كالاصطدام، و ما يُسمع نتيجة سقوط جسم على آخر، ينظر، د/ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص59.
- 19- ينظر، د/ عمار ساسي، رؤية علمية لصناعة معجم في الصوتيات العربية المصطلح والمصطلحية، العلوم الإنسانية بين التراث والحداثة جامعة سعد حلب ،البليدة، دط، 2004م، ص 328.
- 20- ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب، د ط، د ت، ص 66.
- 21- ينظر، عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية* الحديثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1994م ص 18-20.
- *السيميائية والسيمياء والسُّمة والسِمة مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وَسَمَ"، وزنها "عَفَلَى"، وهي في الصورة "فِعْلَى"، يدل على ذلك قولهم: سِيمَةً، فإن أصلها: وُسْمَةٌ، ويقولون: سِيمى بالقصر، وسِما بالمد، وسيميائية بزيادة الياء والمد ، ويقولون: سَوَمَ إذا جعل سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل إلى التخفيف لهذه الأوزان: لأن قلب عين الكلمة متأنٍ خلاف فإنها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من "سَوَمَ" المقلوب؛ وإنما سمع منه فعل مضاعف في قولهم: سَوَمَ فَرَسَهُ؛ أي جعل عليه السِمة، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السِما والسومة، وهي العلامة يعرف بها الخير والشّر، وجمعها سِيَمٌ، كقيمة قِيَمٌ، وصورة صَوَّرَ. ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة "سوم"، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 350/8، والأزهري، تهذيب اللغة 112/13.
- 22- ينظر، د/ مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، دار أديب للنشر والتوزيع، ط2، 2006م، ص87.
- 23- سورة المؤمنون، الآية 72.
- 24- ينظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 57/1.
- 25- ينظر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 58/1.
- 26- ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية ، الجزائر " مدخل اللسانيات "، العدد 6، دط ، 1982م، ص 12.
- 27- ينظر، ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق أحمد مختار عالم الكتب ، القاهرة، ط2، 1983م، ص 78.
- 28- ينظر، الخليل بن أحمد ،كتاب العين 1/ 47،
- 29- ينظر، الخليل بن أحمد، كتاب العين 1/ 48، 56، وأحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، بدمشق، سورية، ط2، 2003م، ص 21.
- 30- ينظر، الخليل بن أحمد ،كتاب العين 1/ 58، وأحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ص 42 ، ود/ حلي خليل، دراسات في علم اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1، 1998م، ص40.